القارىء ـ المواطن. وبهذه التراتبية فإن الشاعر عرف، منذ البداية، مايريد ومن يريد. وهو بهذه المعرفة اختـار ملعبه وطريقة اللعب. وبالقدر الذي كانت فيه قصيدة معين بسيسو تختار قارئاً من أوسع صفـوف الناس، كانت تأخذ وبالضرورة، في أحيان كثيرة، لغة هي الأقرب الى التحريض. فالشاعر الراحل إنتمى، باستمرار، الى مدرسة شعرية تضع أهمية كبرى للدور الذي يمكن ان تلعبه القصيدة من أجل تحقيق أهداف سياسية ـ إجتماعية، ويمكن ان تسهم في بلورة وعي ورغبة عند القارىء في التغيـير والمشاركة مع الآخرين. أي ان هدف الالتزام الذي كان غاية الادب ابداعاً ونقداً في عقد الخمسينات وما بعده، كان بالنسبة الى معين بسيسو هدفاً أول يمكن ان تتبعه الاهداف الادبية وليس العكس، وهو لخّص هذا التوجه عندما قال في مقدمة أعماله الكاملة: «الملائكة الذين كتبوا قصيدة الكون في ستة أيام، واستراحوا بعد ذلك في اليوم السابع لم يقرأوا ولم يكتبوا، لن يغفروا لك أبداً، أنك واصلت الكتابة بعدهم... الى عشرين أو ثلاثين عاماً. لا لكي تكتب قصيدة الكون... بل لكي تكتب وجودك في النافذة، في القصيدة، في الشارع الذي يسمح لك أن تمشي فوق رصيفه».

إنه اختار أن يكون واحداً من أولئك السائرين على رصيف الشارع، طامحاً أن يكون صوتهم والمعبّر عن آلامهم وأحلامهم في الوقت عينه. واذا كنّا نشير الى هذا الارتباط الشديد بين قصيدة معين وجمهورها العريض، فإننا لا بد وأن نشير، كذلك، الى تطلّع معين الدائم نحو تجارب عالمية في الشعر التقـدمي عموماً، وفي قصائد المقاومة على وجه الخصوص. وهو في هذا أفاد من تربيته السياسية المبكرة، التي وضعته، منذ مطلع الشباب، في أتون المواجهة. وفي هذا الأتون كان عليه أن يصغي جيداً لهدير الناس في الشوارع؛ وفي خضمّ الهدير أن يتبيّن بوضوح أناشيد المقاومة. كان لديوان «إصرار» للشاعر المصري كمال عبدالحليم دور كبير في شحن صوت معين بنبرة قوة، خصوصاً وأن «اصرار» أحدث، فور صدوره، ضجة وأزمة حتى أن رئيس الوزراء المصري، صدقي باشا، دخل البرلمان وهو يصرخ ويلوّح بالديوان في يده، ليطلق بعدها حملة اعتقالات محمومة طاولت الكثيرين من التقدميين والديمقراطيين.

وفي مصر التي جاءها الشاعر الراحل طلباً للدراسة تعرّف معين بسيسو على الكتاب والشعراء والفنانين وعاش عالمهم من الداخل بفرحه وقسوته حتى أن الدارس لتجربة معين بسيسو لا بدّ وأن يتوقف طويلاً عند تجربته المصرية التي سيلحظها حاضرة بكثافة، خصوصاً في مجموعاته الشعرية الاولى، وبالذات منها ديوان «المعركة». عن هذا الديوان كتب معين: «ديوان الشعر الاول كان إسمه المعركة. نشرته دار الفكر الحديث في القاهرة وكانت صوت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني... ودفع العمّال والفلاحون المصريون فاتورة المطبعة. صدر ديوان المعركة في ٢٧ [كانون الثاني] يناير ١٩٥٢، في اليوم الثاني لحريق القاهرة. كان في مطبعة لا أزال أذكر إسمها ـ مطبعة أورفند ـ ولقد دافع العمّال المصريون عن مطبعتهم، ولم يحترق ديوان الشعر. وتمّ تهريب ديوان ' المعركة ' إلى مكتب شاعر مصري في جريدة ' الاهرام ' إسمه كامل الشناوي وإلى بيت مصور مصري إسمه حسن التلمساني الذي قام برسم غلاف الديوان». ديوان المعركة، وقصائد أخرى احتوتها دواوين معين بسيسو اللاحقة وضعته إلى حدّ كبير، في سياق التجربة الادبية والثقافية المصرية، التي أصبح جزءاً فاعلاً فيها، خصوصاً وأن الشاعر في قصائده المصرية قد عبّر، مثله في ذلك مثل زملائه من الشعراء المصريين، عن مشاكل وقضايا عاشها المجتمع المصري في تلك الايام، وأشاد بنضال أبناء مصر التقدّمي ضد المستعمر البريطاني والنظام الملكي:

أنا إنْ سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاحْ